

أضواء البيان

. @ 429 @

وروى البخاري عن ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله ، فقالت له امرأة في ذلك . فقال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله . فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ؟ قال : لئن قرأته لقد وجدت فيها أما قرأت { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ؟ قالت : بلى . قال : فإنه قد نهى عنه . .

وقال ابن برجان : ما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيء فهو في القرآن ، أو فيه أصله قرب أو بعد ، فهمه من فهم ، أو عمه عنه من عمه ، وكذا كل ما حكم أو قضى به . . وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى . حتى إن بعضهم استنبط عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين من قوله (في سورة المنافقين) : { وَلَنْ يُوَفِّيَ رَحْمَةُ اللَّهِ نَفْسًا إِذْ أَجَاءَ أَجْلُهَا } فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقبها (بالتغابن) ليظهر التغابن في فقده . .

وقال المرسي : جمع القرآن علوم الأولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلا ما استأثر الله به سبحانه ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم . مثل الخلفاء الأربعة ، ومثل ابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقل بغير لوجده في كتاب الله . ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه . فنوعوا علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه . . فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها ، وعدد كلماته وآياته ، وسوره وأجزائه ، وأنصافه وأرباعه ، وعدد سجدياته ، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة . من غير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه . فسموا القراء . .

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال ، والحروف العاملة وغيرها . وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها ، وضروب الأفعال ، واللازم والمتعدي ، ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما يتعلق به . حتى إن بعضهم أعرب مشكله . وبعضهم أعربه كلمة كلمة .